

قلق خليجي.. الصراع المتنامي بين إيران وإسرائيل يهدد الأردن



يهدد الهجوم الإيراني غير المسبوق على إسرائيل واحتمال تصعيد الأعمال العدائية بتوريط الأردن، وهو حليف رئيسي للغرب ودولة تعتبرها دول الخليج دولة محورية لأمنها بحسب وكالة بلومبيرغ.

وذكرت الوكالة أنه عندما أطلقت الجمهورية الإسلامية وابلا من الصواريخ والطائرات بدون طيار على إسرائيل مساء السبت، ساعد الأردن في إسقاط بعض الصواريخ التي حلقت فوق عاصمته عمان، حيث قال وزير الخارجية أيمن الصفدي إن المملكة ترى أن الصواريخ تشكل "خطرا حقيقيا" على أراضيها.

وفي حين سارع إلى القول إن بلاده ستفعل الشيء نفسه إذا استخدمت إسرائيل المجال الجوي الأردني لمهاجمة إيران، إلا أن هذه الخطوة أدت إلى سيل من التجاوزات ضد الأردن عبر الإنترنت في الجمهورية الإسلامية.

فقد أعادت وسائل الإعلام الرسمية نشر رسالة على موقع التواصل الاجتماعي X تصف العاهل الأردني عبد الله الثاني بأنه "خائن"، ونشرت الحسابات المؤيدة لطهران صوراً للملك وهو يرتدي زي قوات الدفاع

الإسرائيلية .

وكان الأمر مبالغاً فيه بالنسبة للسلطات الأردنية، التي استدعت السفير الإيراني للمطالبة بوضع حد للإهانات.

وشهد الأردن بالفعل أسابيع من الاحتجاجات في عمان دعماً لحركة حماس، التي تقاتل إسرائيل في غزة منذ أكتوبر، والفلسطينيين الذين ماتوا أو انقلبت حياتهم رأساً على عقب بسبب الصراع.

وأثارت الهتافات والشعارات مثل "كل الأردن حماس" و"يوم الغضب الأردني" قلق مسؤولي الأمن وأدت إلى اعتقالات متعددة.

كما كانت السلطات في حالة تأهب قصوى بعد أن تعهد زعيم الميليشيا العراقية المدعومة من إيران أبو علي العسكري بإغراق الأردن بأسلحة كافية لـ 12 ألف مقاتل للزحف على إسرائيل.

وقد أثار كل هذا مخاوف بشأن استقرار الأردن في كل من أبو ظبي والرياض، وقد عرض كل من ولي العهد السعودي محمد بن سلمان ورئيس الإمارات محمد بن زايد دعمهما للملك عبد الله.

ويقول علي الشهابي، وهو معلق سعودي مقرب من الديوان الملكي: "يعتبر الأردن بالنسبة للسعودية، حصناً ضد المزيد من التوسع الإيراني" في بلاد الشام.

كل هذا يشكل معضلة للأردن، المملكة التي يبلغ عدد سكانها حوالي 11 مليون نسمة، كثير منهم من نسل اللاجئين الفلسطينيين، وتقع بين العراق وإسرائيل والمملكة العربية السعودية وسوريا والأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية.

ويشعر المسؤولون الأردنيون بأنهم محصورون بين الحكومة الإسرائيلية التي يصفونها علناً بأنها تشكل تهديداً للسلام والأمن الإقليميين، والنظام الإيراني الصدامي الحريص على الاستفادة من الحرب.

الأردن ليس الدولة العربية الوحيدة التي تحاول الموازنة بين مواجهة إيران وتزايد المشاعر المؤيدة للفلسطينيين.

فقد قللت السعودية من أهمية التقارير التي تفيد بأنها أسقطت أيضًا بعض المقذوفات التي أطلقتها إيران وقالت المملكة والإمارات إنهما تشعران بقلق عميق بشأن الوضع السياسي الإقليمي في أعقاب هجوم يوم السبت، لكن لم يدين أي منهما إيران صراحة.

وقال الصفدي لقناة المملكة المملوكة للدولة يوم الأحد "رسالتنا لإيران هي أن مشكلتكم هي مع إسرائيل وأي محاولة لإهانة الأردن غير مقبولة ومرفوضة بشكل قاطع".

لكنه كذلك وجه كلمات قاسية بنفس القدر لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، الذي اتهمه بمهاجمة قنصلية إيران في سوريا في الأول من أبريل/نيسان لإثارة مواجهة مع طهران، وتشتيت انتباه العالم، وتخفيف الضغوط التي يتعرض لها من واشنطن لإنهاء الحرب في غزة.

وقال إن "السبب الجذري للتوتر في المنطقة هو العدوان الإسرائيلي على غزة والإجراءات التي اتخذتها لقتل فرص السلام".

وحذر الملك عبد الله خلال حديثه الهاتفي مع الرئيس الأمريكي جو بايدن يوم الأحد، من أن أي انتقام إسرائيلي على الهجمات الصاروخية والطائرات المسيرة الإيرانية سيوسع الصراع في المنطقة.

وقال العاهل الأردني في بيان، إن "الأردن لن يسمح باندلاع حرب إقليمية على أرضه".

وقد أصبح التوازن في عمان محفوفًا بالمخاطر بشكل متزايد مع دخول الحرب في غزة شهرها السابع.

وسمحت السلطات باحتجاجات شبه يومية خارج السفارة الإسرائيلية ولم تسمح للسفير الإسرائيلي بالعودة منذ نوفمبر/تشرين الثاني، لكنها قاومت المطالب الشعبية بقطع العلاقات مع إسرائيل تمامًا.

ويعتمد الأردن على مساعدات بمليارات الدولارات من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، ويتمتع بتعاون عسكري وأمني عميق وطويل الأمد مع الغرب، مما يحد من قدرته على النأي بنفسه عن الدولة اليهودية.

يعتمد الاقتصاد الأردني على المانحين الخارجيين، وتعد المملكة الأردنية ثالث أكبر متلقي للدعم من دول الخليج الغنية بالنفط، ووفقًا لبلومبرج إيكونوميكس إلى جانب المساعدات المستمرة تقريبيًا من صندوق النقد الدولي منذ عام 1989 و1.45 مليار دولار سنويًا من المساعدات الأمريكية.

وفي حين كانت المملكة من أوائل الدول العربية التي حذرت مما وصفته بأجندة إيران التوسعية في أعقاب الغزو الذي قاده الولايات المتحدة للعراق في عام 2003، فقد حاولت الحفاظ على علاقاتها الدبلوماسية مع الجمهورية الإسلامية.

لكن القوة المتنامية للمليشيات المدعومة من إيران في العراق وسوريا وتورطها في تهريب المخدرات والأسلحة إلى الأردن وعبره، دفعت الملك إلى الإعلان في يوليو/تموز أن بلاده "تواجه هجمات منهجية على حدودها" من قبل هذه الجماعات.

والآن يخشى العديد من المسؤولين الأردنيين الحاليين والسابقين أن تستخدم إيران وحلفاؤها، بما في ذلك حماس، التي تعتبرها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي منظمة إرهابية، الحرب في غزة لزعة استقرار الأردن وتعزيز أجنداتهم.

وقال سميح المعاينة، وزير الإعلام الأردني السابق، إن "الحرب المستمرة في غزة كانت فرصة لمحاولات مختلفة للتسلل إلى الفضاء الأردني".